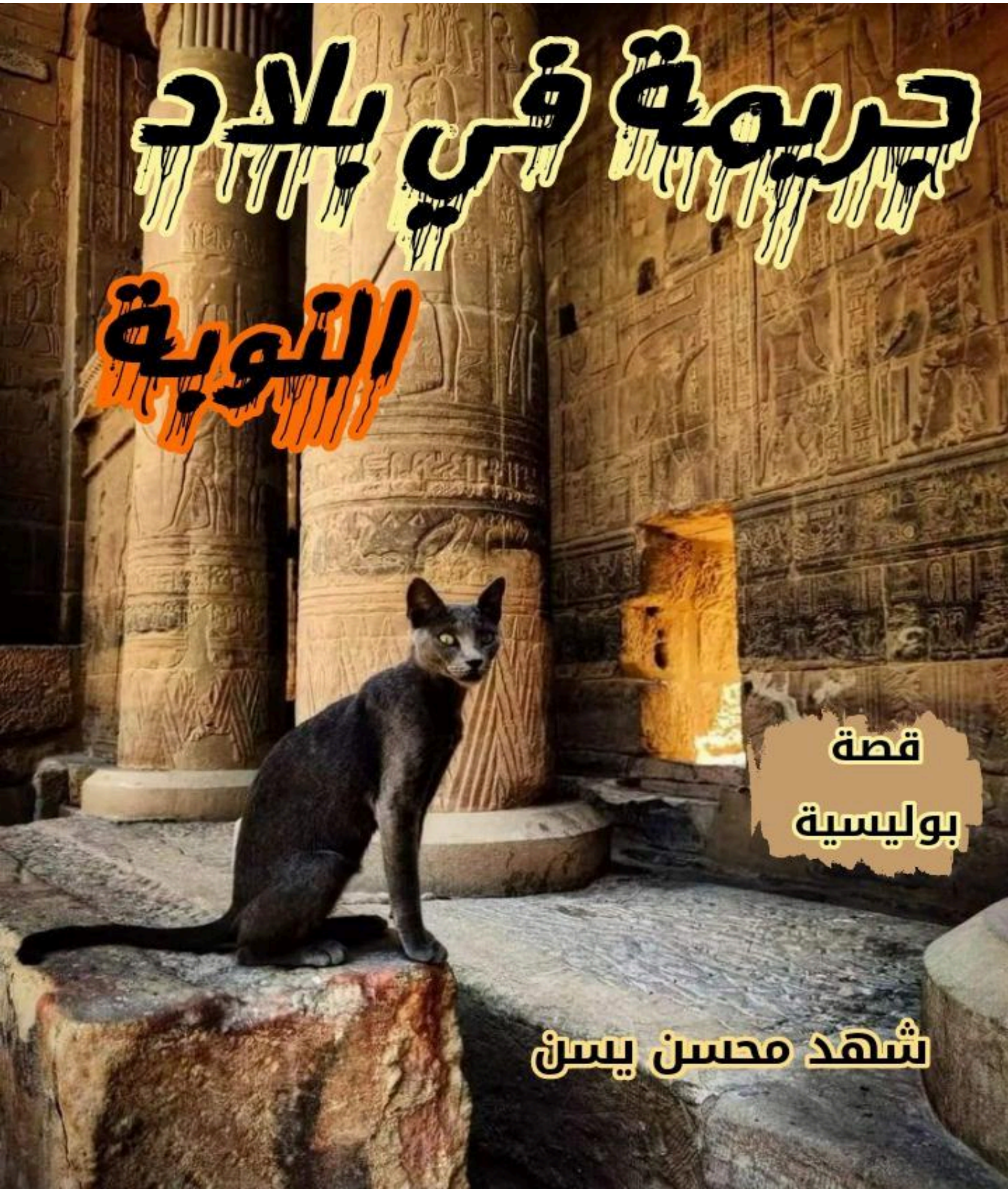
جريمة في بلاد النوبة
قصة بوليسية
شهد محسن يسن

إهداء

"إلي كل ما يجدد ويبعث في روحنا أمل جديد.. إلي كل كلمة قرأت في وقت ضعف فلمست شئ خاص لدينا..إلي فنجان القهوة الذي نختلي معه لحظة هدوء بعد يوم حافل بالهرج..إلي نسمات الفجر والسماء المقمرة والأمنيات التي لا تنتهي"..!!

مقدمة

الفرق بين الحقيقة و الباطل هو أن المجرم يلبس الباطل أثياب متعددة .. علمني العمل بالمجال البوليسي أن المجرم المحترف يستطيع أن يتلون كما تلون الحرباء جلدها.. يتلون في ألف لون وألف شخصية حتي تكاد تصل للجنون وأنت لا تفهمه.. حتي يأتي الخيط الرفيع وينقطع ويظهر الباطل..فمهما برع المرء في أتقان شئ ما سيقع منه ذلة من اللا

واعي.. وعلي العقل المضيئ أن يلتقطها علي الفور..!

الثاني عشر من شهر شباط

(أسوآن (بلاد النوبة

كانت الأجواء خيالية في أقصي جنوب مصر.. حيث تقع بلاد الدهب كما تلقب أسوان كنت قد سئمت من شدت برودة القارة الأوربية أكرهه البرودة علي الرغم من قضاء أغلب سنوات عمري بين المدن الأوربية والأمريكية.. لا أفهم ما سبب ربما الأمر يعود لأصولي وأنتمائي لبلدي

الأم هنا كحال سكان شمال افريقيا
والطقس الدافئ الذي يحمل نسمات
باردة..!!

كنت أتأمل من نافذه العربة التي أستقلينا
بها لتأخذنا لفندق أقامتنا في أسوان كان
جمال الطبيعية ومنظر النيل وعلي ضفافه
أثار فرعونية عريقة كان منظر غير
معقول كيف لمدينة تجمع هذا السحر..!!

ـ قطع تأملي صوت رفيقي ورفيق كل الدروب علي الحسيني : ما أجمل الحضارة المصرية يا روز.. أسوان تشعرني وكأني لست مغترب وكأني أستقل سيارة وأتنقل بها في حضارة بابل..!!

ـ أبتسمت وأنا أهز رأسي موافقة رأيه وقلت : نعم .. الحضارة الفرعونية وحضارة بلاد ما بين النهرين من أقدم ما عرفتة البشرية..!!

رفع الحسيني بصره تجاهي وقال : ألا تفكرين يوما يا روز أن تستقرين هنا ببلدك..مصر..!!

ـ قلت وأنا أفكر في كلماته : الآن.. لا أعتقد أن بأمكاني الأستمرار في بلد واحد طول العمر لطالما لا أشبع من التحليق فالطيور المهاجرة لا تستطيع أن تمنعها

من الطيران وكذلك تحن دوماً الطيور المهاجرة إلي عشها الأصلي
وموطنها..لكن الطيور خلقت لتحلق في حالة واحدة يمكن أستثناء هذه القاعدة..!!

ـ نظر الحسيني مستغرباً وقال :

وما هي هذه الحالة..؟؟

تنهدت وقلت : **"في حالة الوقوع في الحب.. يحدث الاستثناء يصبح الطيور موطنها هو الوطن الذي يعيش فيه**

وليفها وتصنع عشها به.. حينئذا تكف الطيور المهاجرة عن التحليق لأن لا طير يهجر عشه ولا طير يهجر وليفه"..!!

ـ أبتسم الحسيني وقال :

ومتي نعرف أننا وقعنا بالحب..؟؟!

ـ أسندت رأسي علي مسند المقعد وأنا أنظر للطبيعة أمامي و قلت :

ستعرف حتما ستعرف.. الحب كالموت يأتي مباغتة دون سابق أنذار وفي أكثر الأوقات غرابة يمكن أن يأتي بعدما تكف عنه وتكف عن الأمل في حدوثه.. لا أحد يستطيع التكهن به وبحدوثه ولكنك حتما

ستعرفه.. السر يكمن فيما هو آت ما الذي ستفعله عندما تجده وليس كيف تجده..!!

ـ أبتسم الحسيني وقال : دومآ حديثك صائب يا روزلين لا أستطيع الخلاف معك..!!

ـ أبتسمت ونحن ننزل من العربة أمام فندق الأقامة وقلت : لقد جعلتني أسئلتك

عاطفية للغاية وأنا أكرهه أن أظهر الجانب العاطفي مني..!!

الأقامة في أسوان

أستقبلنا العاملين بالفندق وصعدنا لغرفنا كانت غرفتي مقابلة لغرفة الحسيني وعلي الفور دخلت الغرفة وفتحت النافذة التي كانت ممتلئة بالزهريات الوردية والمطلة علي النيل..!!

ـ كانت أول مرة أري نهر النيل بهذا الحجم أكبر مما رأيته في طفولتي عندما أخذني والدي قبل وفاته في القاهرة..
فالنيل في أسوان سحر أخر..!!

ـ أخذت قسط من الراحة بعد تعب السفر وأستيقظت علي معاد الغداء..

ـ تناولت مع الحسيني وجبت الغداء وكنا متحمسين جدا لبدء جولتنا في أسوان

فأسرعنا من أنهاء الغداء وخرجنا للتجول في أرجاء المدينة الساحرة..!!

إمبو معبد كوم

كنا تائهين أنا وعلي فلا يعرف أحد منا المدينة هنا ولكن جمعنا المغامرة ظللنا نسأل حتي وصلنا للمعبد.. وعندما وصلنا

وجدنا شيخ يرتدي عباءة بيضاء ووشاح حول رأسه (عمامة) كان يسير وراءه فوج من السياح فنظر الشيخ إلينا وكإنه عرف من ملامحنا بأننا لسنا سياح فقال مخاطبا بالعربية : تحبون الآنضمام إلينا أم تعرفون المكان؟؟..

ـ قلت مخاطبته باللهجة المصرية :

الشرف لينا بالمشي معاكم..!!

ـ أبتسم الشيخ وقال :

نورت بلدك يا بنيتي..!!

ـ تبعنا الشيخ الذي عرفنا من حديثه أنه الشيخ "إدريس الهلالي" من أعرق قبائل أسوان بني هلال..!!

ـ بدأ الشيخ إدريس يشرح لنا تخطيط المعبد..

ـ فأنشئ معبد كوم إمبو في عهد بطليموس السادس لعبادة الألهة سوبيك وحورس ويتكون المعبد من السور الخارجي وهو سور يحيط بالمعبد كله لحماية المنطقة المقدسة ويفصله عن غيره من المعابد..

ـ ويضم المعبد أيضا :

الماميسي (بيت الولادة) حيث كانت تتم به طقوس ولادة المعبود الرئيسي للمعبد..!

ـ كما كان يضم معبد كوم إمبو مقصورة للآلهة حتحور ، ومقصورة سوبك ، ومقياس النيل لمعرفة أحجام الفيضانات..!!

ـ تجولت بين جدران المعبد وأخرجت الكاميرا وألتقطت العديد من الصور التذكارية..

ـ أنتهت الجولة في المعبد وأنصرف السياح للخارج وأستوقنا الشيخ إدريس وقال :

لم نتشرف بالتعرف بكم يا أولادي أين تقيمون هنا بأسوان..!!

قلت : أنا روزلين اليوسف أصولي تعود لبحري من الاسكندرية.. ولكن غير مقيمة حاليا في مصر ، وهذا رفيقي علي الحسيني من العراق.. جئنا لآسوان لختام شتاء هذا العام بها نمكث في أحد الفنادق هنا..!!

أشار الشيخ إدريس بيده مستعجباً وقال :

تقولين أنك من بحري ورفيقك من عربان العراق وتمكثون في فندق!! أنه لعار علي جميع قبائل النوبة أن تقيمون بها كما يقيم الاجانب الغرباء.. من الآن فأنتم ضيفونا في منزل الهلالية في كوم إمبو..!!

ـ أبدينا الكثير من الشكر للشيخ إدريس ولكن يصعب غلب شهامة عربان القبائل..!! فأرسل معنا خادمه لحمل أمتعتنا من الفندق إلي منزل الهلالية في كوم إمبو..!

منزل الهلالية

وصلت بنا السيارة التي أخذنا بها خادم الشيخ إدريس من الفندق ووصلنا إلي منزل الهلالية في كوم إمبو..

ـ كان الشيخ إدريس يجلس أمام المنزل الذي كان له طلاء خارجي بألوان مبهجه ونقوشات تعود للتراث النوبي .. جالساً علي مقعد خشبي كبير ذا مسند خشبي أيضا (الدكة).. قام الشيخ فور وصولنا ورحب بنا ترحيب حاراً..

ـ وأدخلنا المنزل كان حوش فناء واسع للغاية تكاد تكون قاعة أستقبال أو قاعة مؤتمرات..!!

وكان المنزل يتكون من عدة طوابق فكانت توجد سلم بعد هذا الفناء الواسع للصعود لطابق الأعلي فنادي الشيخ إدريس لأحد أبنائه..

فجاء فتي طويل القامة ذو بشرة سمراء كحال أغلب سكان أسوآن علي قرابة من منتصف العشرينات من عمره.. فعرفنا الشيخ إدريس به وقال : هذا أبني "يونس إدريس الهلالي" وهو أبني الوسطاني ستذهب معه يا علي ليعرفك غرفتك في مضيفة الرجال..

ـ فذهب علي مع يونس..!

ـ أما أنا فنادي الشيخ علي سيدة تدعي

"أم سالم" فنزلت من الأعلي سيدة ذات عباءة سوداء مزقرشة ببعض التطريز اليدوي النوبي علي قرابة الخمسينات من العمر..

فقال الشيخ : هذه زوجتي أم سالم..هذه ضيفتنا هنا في البيت أوصيك بها وبمراعتها..!!

ـ نظرت السيدة بعطف وقالت :

ضيوفك يا شيخنا إن لم تسعهم الأرض راحة تسعهم أفئدتنا.. سيري معي يا بنيتي مرحبا بك في بيتك الثاني..!!

ـ أبتسمت لعطف وكرم السيدة وتبعتها للأعلي فأدخلتني غرفة ضيافة واسعة وذات سرير ومكتب خشبي وكرسيان وطاولة صغيرة فوقها زهرية بها ورد طبيعي.. ونافذة صغيرة تطل علي النيل..!!

ـ تركتني السيدة أم سالم لأفرغ أمتعتي وأخذ راحتي فالغرفة.. فكانت غرفة بسيطة تحمل كل معان الرقة والجمال رطبة تشم بها رائحة الهواء وهو يتغلغل داخل رئتك منتعشآ..!!

ـ أفرغت أمتعتي مجددآ وجلست علي السرير حتي قاطعني صوت طرق علي باب الغرفة..

ـ فتحت الباب دخلت فتاة متوسطة القامة ترتدي عباءة ملونة بالخيط الآحمر والحياكة اليدوية ذات وجه بشوش وأبتسامة تبرز غمزة علي خدها الآيسر..

قالت : حسنا لم تبالغ أمي حين قالت أن ضيفتنا فتاة جميلة للغاية.. أنا مريم الآبنة الصغري للشيخ إدريس..

ـ أبتسمت للفتاة وقلت وأنا أدخلها الغرفة :

هذا لطف كبير منكم يا عزيزتي..!!

ـ أبتسمت الفتاة وهي تضع مجموعة من الفساتين والعباءات النوبية علي السرير وقالت : نحن لدينا فرح كبير بعد ثلاثة أيام سيتزوج أخي الكبير سالم وجميع قبائل أسوآن ستأتي إلي هنا فلا تنزعجين من الضوضاء التي ستحدث أنها أمور طبيعية تجري هنا.. وهذه الملابس ستساعدك في حضور مناسبات الفرح..

ـ نظرت للملابس وقلت :

فرح نوبي..!! كم أنا محظوظة حقآ هذا كرم عظيم من ضيافة ال هلال..!!

ـ أبتسمت الفتاة بخفة وقالت :

لا تقولين هذا فهي عادتنا دوماً فلا تكف مضايف الهلالية عن الضيوف أبداً..أتمني أن تستمتعين بالوقت معنا..!!

ـ أرتديت أحدي العباءات التي تركتها لي مريم ونزلت إلي تجمع السيدات لتناول العشاء..!!

ـ فكان السيدات لهم حوش ومكان خاص يجتمعن به للاكل سويا وللرجال أيضا

حوش خاص بهم يجمع ال هلال من رجال وأبناء عمومة..!!

-أنهيت عشائي وساعدت السيدات في حمل الأطباق.. ثم أخبرت مريم بأنني أريد رؤية رفيقي علي في مضيفة الرجال..

ـ أخذتني مريم إلي سلم خفي ينزل علي مضيفة الرجال وباب خشبي به فتحات صغيرة حتي لا يري الرجال من ورائه فأشارت مريم بيدها فلاحظ الشيخ إدريس من مقعده في منبر الضيافة فأرسل لنا أخوها يونس..

ـ صعد يونس لنا فحدثته مريم فأخذني يونس إلي مضيفة الرجال وأمر مريم بالعودة لحوش النساء في الأعلي..

ـ نزلت إلي حوش الرجال وكان الفناء ممتلئ بالرجال من مختلف الأعمار طوال القامة ومتوسطي القامة وجميعهم ذو لون بشرة موحدة نظرت إليهم جميعا حتي وقعت عيني علي الحسيني يجلس بجوار مقعد الشيخ إدريس مرتديا عباءة بيضاء وعمامة حول رأسه لأول مرة أري الأصول العربية طاغية علي الحسيني وكانت تليق به هيبة الرجال العرب..!!

سألني الشيخ إدريس وقال :

كيف حالك يا بنيتي كيف تجدين الأقامة لدينا؟؟..

ـ أبتسمت وقلت : لا شكر يوفيكم ما تفعلون معنا أنه لكرم كبير منكم..!!

أبتسم الشيخ وقال :

بوركت يا بنيتي.. ها هو رفيقك بخير معنا لا تقلقين..!!

ـ نهض الحسيني ووقف جواري وطلبنا من الشيخ إدريس أن نخرج للمشي في شوارع أسوآن..

ـ وافق الشيخ وطلب من أحد الحضور الجالسين في المضيفة من ال هلال يدعي "يوسف" بأن يصطحبنا في المشي فكنا في ساعات ليل وهدوء..

ـ خرجت مع الحسيني بصحبة يوسف الذي كانت ملامحه يغلب عليها

ـ خرجت مع الحسيني بصحبة يوسف الذي كانت ملامحه يغلب عليها ملامح سكان شمال مصر قليلآ فكان فتي يافع طويل القامة ذو بشرة قمحاوية مرتدياً

عباءة بيضاء وعمامة وساعة يد روليكس..!!

ـ نظرت للحسيني وقلت بصوت خافت : هل أمورك بخير..!!

هز الحسيني رأسه وقال : نعم كل شئ علي أفضل ما يكون.. تبدين رائعة في هذا الثوب النوبي..!!

ـ ضحكت وقلت : أنت أيضا تبدو رائع في العباءة البيضاء..!!

ـ اخذنا يوسف للسير إلي بعض الأزقة في شوارع أسوان وأشتريت العديد من الأشياء التذكارية والملابس وغيرها..

ـ أستغرقنا في السير قرابة ساعة ونصف حتي أشار لنا يوسف بضرورة العودة للمنزل..

ـ حين وصلنا أردت أن أجلس علي (الدكة) التي أمام المنزل لمشاهدة السماء المرصعة بلنجوم وضوئها المنعكس علي مياه النيل.. فذهب الحسيني للنوم فكان يوم

حافل ومنهك.. فذهب معه يوسف ليدخله لغرفته..!!

ـ ثم عاد يوسف مرة أخري للخارج وكان حاملآ بيده رابطة كبيرة من الكتب
فوضعها بجواري علي الدكة.. ثم نظر لي وقال : ألا تشعرين بالبرد..؟!!

ـ أبتسمت وقلت :

الطقس هنا معقول بالنسبة لتعودي علي أجواء الثلج في أوربا..!!

ـ ضحك وقال :

حسنا سأذهب لآحضر قهوة ساخنه لي لأن هذا وقت القراءة الخاص لدي.. هل أحضر لك شئ..؟؟

ـ قلت : نعم قهوة أيضا..!!

ـ بعد دقائق عاد يوسف حاملآ القهوة فشكرته..!!

ـ ثم جلس وأخذ يقلب في مجموعة الكتب..

ـ فخرج الحشد من الرجال الذي كان مجتمعآ في داخل الحوش ونظروا إلينا بأرتياب ثم أنصرفوا..!!

ـ نظر لي يوسف وقال : لا تخافين منهم فهم ليس معتادين علي أن يجلس أحد من النساء في الخارج في توقيت متأخر هكذا من الليل..!!

ـ هززت رأسي وقلت :

نعم ، أفهم العادات هنا ولكني أراك متحررآ في التفكير عن عادة أهل النوبة هنا..!!

ـ أبتسم يوسف وقال :

أنني الأبن الأصغر للشيخ درويش الهلالي والشيخ إدريس هو عمي الأكبر وكبير قبيلة بني هلال.. ولكني لست مقيم هنا في أسوان فأنتقل أبي منذ سنوات إلي القاهرة وأنتقلنا معه وعملي بالقاهرة نحن هنا لحضور فرح أبن عمي إدريس الأكبر سالم..

ـ فنظرت لكومة الكتب التي وضعها وقلت ألا يوجد في هذه الكتب ما يساعدني في فهم تاريخ بنو هلال فقد سمعت عن كتاب السيرة الهلالية..!

ـ وضع يوسف يده علي الكتب وقال :

نعم وجب علي كل من ينتمي لبنو هلال أن يمتلك سيرة أصوله..بل يحفظها أيضا عن ظهر قلب.. ولكن ليس بحوزتي الآن أستطيع أن أقص عليكي منذ تغربية بنو هلال حتي عهدنا هذا الآن!!

ـ وبينما نحن نتحدث وقع صوت أطلاق نار وشجار وأنقلبت الحانة الهادئة إلي حالة من الهرج الشديد.. فأسرع يوسف بأدخالي إلي المنزل..!!

ـ ثم خرج الشيخ إدريس وقال ما هذه الفوضي.. في الخارج يا يوسف؟؟..

فقال : لا أعلم كنا نجلس علي دكة المنزل حتي وقع صوت النار فأسرعت بأدخال السيدة روز.. سأذهب لمعرفة ما يحدث..!!

ـ وما كاد يوسف أن يخرج حتي دخل الأبن الأكبر للشيخ إدريس سالم ويبدو

علي مظهره أثر الشجار والضرب.. فقال بغضب عارم وهو يوجه حديثه لآبيه الشيخ إدريس :

لقد مكنتهم منا يا أبي.. لولا سماحك لهم في كل مرة يتطاولون.. جعلهم يرفعون أسلحتهم بوجوهنا..!!

ـ جلس الشيخ إدريس ونظر إلي أبنه وقال:

السيوفيين مرة أخري.. ماذا فعلتوا لهم ما سبب الشجار..!!

قال سالم وهو يلقي بسلاحه

إلي حجر أبيه: خذ سلاحي مني يا أبي وصوبه تجاهي وسيكون الأب ضرب أبنه لتطاوله عليه.. سيكون أهون من مسامحتك وقبولك الصلح معهم هذه المرة أيضا..!!

ـ نظر الشيخ بحدة لأبنه وقال :

قلت لك ما سبب شجاركم مع السيوفيين يا سالم..!!

ضحك الأبن بسخرية :

السبب..!!هو السبب نفسه في كل شجار معهم.. يا أبي..!!

ـ تنهد الشيخ ثم قال :

حسنا ، يا بني أذهب الآن وأغتسل وبعد مراسم زفافك.. سوف نضع حدآ لبنو سيوف جميعآ..!!

ـ ذهب سالم وهو غاضب.. وأستئذن الشيخ إدريس منا وذهب أيضا للنوم..

ـ ألتفت نحو يوسف وقلت : من هم ال سيوف ولماذا يتشاجرون مع بنو هلال..؟؟

ـ قال يوسف وهو يدخل كومة كتبه من الخارج ويضعها في صندوقه الخاص :

بنو سيوف هم عائلة زوجة عمي إدريس.. كانت قبيلتنا وقبيلتهم بينهم خلافات عديدة فمنذ زمن أجداد الأجداد قتل من قبيلة بنو سيوف شخص علي يد أحد السلف الهلاليين.. فورث ال سيوف جميعا الكره لبنو هلال حتي عندما مر الزمن.. كاد الثأر أن يقوم مجددا عندما قرر عمي

إدريس الزوج منهم ولكن وقتها تدخلت القبائل وتمت الزيجة كبداية صلح بين القبيلتين وظل الوضع جيد بين القبيلتين ولكن لفترة كبيرة ، عندما كبر أولاد عمي إدريس و بدأت تزداد أعباء الحياة علي عمي قررت زوجة عمي أن تطالب بميرثها من ال سيوف.. فكانت هذه شرارة عودة الخلافات بشكل جنوني ، فأتهم جميع بنو سيوف عمي بأنه يريد سرقة أراضي ال سيوف وهو من دفع زوجته بالمطالبة بحقها.. فرفضوا أن يعطوها الميراث..

وبدأت المشاجرات بين أولاد عمي وأبناء خالتهم وأخوالهم.. حتي أنهم أفسدوا خطبتي بأبنت عمي مريم..!!

ـ تنهدت وكأني لا أصدق ما أسمع وقلت :

لا يعقل هذا.. أنه يحدث بالفعل.. الآن فقط فهمت لما أتهم سالم الشيخ إدريس بأنه يفرط في حقهم عندما يسامح ال سيوف في كل مرة.. أنه لا يريد أشعال فتنة..!!

ـ جلس يوسف علي المقعد وقال :

نعم ، عمي أيضا لم يكن يريد أي شئ من ميراث زوجته.. ولكنها هي من طالبت به ولا يريد أن يقال أن طمع بنو هلال في أملاك ال سيوف لذلك يقبل الصلح معهم مهما أسائوا وحتي لا تعود قصة الثأر..!!

ـ جلست أمام يوسف وقلت : وماذا عن خطبتك بمريم..؟؟

ـ تنهد يوسف وهو ينظر لبوابة المنزل وقال : أنها قصة تطول شرحها.. ولكن كانت بسبب "راشد سيوف" وهو أبن خالة

مريم..خالتها "نرجس" كانت تريد تزويجها به وعندما علم بنو سيوف بأمر خطبتها بي رفضوا أن يكون بيننا وبينهم نسب مرة أخري.. وحينها فسخ عمي الخطبة أرضاء للقبيلتين بأن مريم لن تتزوج لا من قبيلة سيوف ولا قبيلة هلال..!!

ـ أسندت ظهري للمقعد وقلت وأنا أشفق علي يوسف : لهذا رحلت مع والدك إلي القاهرة..!!

ـ حاول يوسف أخفاء شعوره بالآسي ونهض وقال : يتأقلم الأنسان مع الوقت علي الواقع.. يجب أن تذهبي للنوم الوقت تأخر وغدا يوم الحنه سيكون يوم حافل..!!

ـ أبتسمت وأنا أنهض وقلت :

حسنا ، طاب مساءك يا يوسف.. سأنتظر منك أن تحضر لي كتاب السيرة الهلالية ستكون تذكار منك..!!

ـ أبتسم وقال : علي الرحب والسعة..!!

في صباح اليوم التالي.

أستيقظت علي ضوء الصباح القادم من نافذة الغرفة وأصوات حركة وضوضاء في الأسفل.. فتحت النافذة ونظرت علي السماء كانت كثيفة الغيوم تكاد السحب أن يسيح غمامها علي زرقة مياه النيل..
وكان التجمهر كبير أمام المنزل فالنساء بالأسفل يجهزن أطباق وطاولات طعام كبيرة ورجال ينصبون الزينة والكراسي..
لم أحضر تجهيزات هكذا من قبل..

ـ دق باب غرفتي فإذنت بالدخول فدخلت مريم مبتسمة وقالت : أتمني ألا يكون تحضيرات ليلة الحنه مزعجة لكي..!!

ـ ضحكت وقلت :

كلا.. أحببت عادتكم كثيرآ..!!

قالت مريم :

حسنا والآن دعينا نخطط ما سترتدين اليوم في الحنه سيحضرها جميع نساء بني هلال و ال سيوف..!!

ـ قلت متسائلة : هل سيحضر "ال سيوف" حقا؟؟ فقد تحدثت مع يوسف ليلة أمس وأخبرني أنكم علي خلافات معهم وحدثت مشاجرة بين أخيك سالم وأحد منهم..

ـ جلست مريم علي طرف السرير وقالت : لم أري يوسف منذ أن جاء إلي أسوان هذه العطلة.. نعم كما أخبرك بيننا خلافات لكنها لن تؤثر فعلاقة أمي بأخواتها خاصة خالتي نرجس طيبة لذا سيحضر نساء ال سيوف بالتأكيد..!!

في المساء

كانت بدأت مراسم الحنه وكان في الخارج رجال قبيلة بنو هلال.. لم أستطيع أن أري الحسيني لوجودي في حوش النساء
وصعوبة الأختلاط مع الرجال في الأسفل لم أري من النافذة إلا يوسف الهلالي الذي كان منشغلا في مضايفة الرجال علي مائدات الطعام..!!

ـ أما أجواء الحنه في حوش النساء فكانت تبعث السرور والفرح الكثير من غناء السيدات للأغاني النوبية فكانت الأجواء حماسية خاصة عندم بدأت النساء في قرع الطبول والرقص..!!

ـ جاءت مريم ووضعتلي حنه نوبي علي يدي أعجبتني كثيرا وتركتها حتي تجف وأثناء أنشغالي بالحنه كانت هناك أمرأة تنظر لي بعين الأرتياب.. وتجلس بجوار السيدة أم سالم زوجة الشيخ إدريس..

ـ فهممت بالذهاب من أمامها وذهبت لأغسل يدي من الحنه.. وأثناء خروجي سمعت السيدة تقول لزوجة الشيخ :

من تكون تلك التي خرجت الآن؟؟..

ـ قالت زوجة الشيخ :

أنها من ضيوف الشيخ إدريس جاءت منذ يومان فتاة هادئة للغاية..!!

ـ قالت السيدة لزوجة الشيخ بعنف : ضيفة الشيخ؟؟.. إلي متي ستظلين ساذجة وتتبعين إدريس في كل شئ إلي متي

ستظلين مسلوبة الأرادة أمامه يدخل علي منزلك من يريد ودون أن تعارضيه بكلمة؟؟..

ـ سمعت هذا الحديث ففهمت أنها السيدة نرجس التي تحدث عنها يوسف..فغسلت يدي ولم أعود لحوش النساء مرة أخري فخرجت لفناء المنزل الذي كان ممتلئ بالرجال أيضا.. ولم أجد الحسيني حتي الآن..!!

ـ فصعدت لسطح المنزل وأخذت أدخن وأنظر لضوء القمر القادم من السماء فكان

رأسي يثور من غليان التفكير في أمر القبائل هنا.. حتي قاطعني صوت حركة أقدام فإذا به الحسيني يقول :

كما خمنت عندما قالت لي مريم بأنك صعدتي للسطح خمنت أنك سوف تدخنين..!!

ـ قلت وأنا أطفيئ السيجارة.. التدخين سئ وكذلك الكذب والجهل والتقامر والخيانة..!!

ـ تعجب الحسيني وقال : ما هذا.. أنها فلسفة منك أم ماذا يحدث؟؟

ـ نهضت وقلت : لا شئ.. هل أنتهت الحنه؟؟..

ـ قال وهو غير مقتنع بحديثي : نعم أنتهت منذ قليل.. كان يوسف يسأل عنك يقول أنه أحضر لك الكتاب السيرة الهلالية وأعطاني إياه لكي.. هل أصبحتم رفقاء؟؟..

أبتسمت للحسيني الذي كانت مشاعر الغيرة تقطر من عيناه وأنا أخذ منه الكتاب

وقلت : نعم ، تحدثت معه أمس بعدما ذهبت للنوم.. حدثت عدة أشياء غريبة يوسف فتي مثقف جدآ أحب من يقرأ..لقد أصبح نادر من يقرأ في عالم يسوده الجهل..!!

ـ قال الحسيني متجاهلا حديثي عن يوسف: نعم لقد علمت ما حدث أمس من مشاجرات مع قبيلة سيوف فقد جاء رجالهم الحنه اليوم وأعتذرو من سالم أمام جميع القبائل الحاضرة..

تنهدت وأنا أهمم بالنزول للأسفل وقلت :
هذا عظيم..عظيم جداً..!! هيا علينا أن نذهب للنوم.. أراك غداً في العرس..طاب مسائك يا علي..!!

..ليلة العرس

بدأت المراسم وكان الأحصنة والطبول والرقص في الخارج فأنتهيت من أرتدائي "للدس"الأحمر الذي تركته مريم لي وقالت أنه زي الأفراح هنا.. ونزلت لرؤية الأجواء في الأسفل..

ـ عندم نزلت إلي الخارج كان الحسيني أول من أبتسم عندما رأني وقال :

يليق بك الثوب النوبي بشدة وكأن عروسة النيل خرجت علي اليابسة..!!

أبتسمت متجاهلة غزله وقلت : الاجواء هنا حماسية جدا.. هل رأيت يوسف..!!

ـ أنزعج الحسيني وقال :

ها هو هناك..!! يرقص بالعصي فاتتك رؤيته فقرته منذ البداية أليس كذلك..!!

ـ وإذا بنا نتحدث حتي صدر صوت إطلاق نار كثيف وغبار أبيض يعدم الرؤية..!!

ـ مرت دقائق من أنعدام الرؤية فقط ما يحدث هو أصوات ضجيج وطلاقات نار بشكل عبثي.. كان الحسيني ممسكآ بي بين يديه.. بعد دقائق بدأنا نتمكن من الرؤية ..

ـ فعندما عادت الرؤية من الغبار وجدنا كلا من سالم ، وأخيه يونس غارقين في دمائهم أسفل الأحصنة التي كانوا يرقصون بها والشيخ إدريس بجوارهم يصرخ من الصدمة..!!

ـ وبينما نحن في صدمتنا الأولي حتي صدر صياح أخر من المنزل للنساء مناديين الشيخ إدريس..

ـ أسرعت بالدخول فوجدت النساء ملتفين حول جثتين أشلاء.. أحدهما للسيدة أم سالم والأخري لمريم..!!

أمسك الحسيني بيدي محاولآ إعادة التوازن لجسدي الذي كان يرتعش من رؤية الجثث..!!

...بداية التحقيق والشك

أنقلب العرس لفجعة.. فأصبحت عائلة الشيخ إدريس الهلالي قتلي.. لم يمر قليل حتي جاءت قوة كبيرة من شرطة أسوان الذي تعاملت معهم بشكل رسمي أنني سوف أشاركهم في التحريات فيما حدث..!!

ـ نقلت الشرطة الجثث ودار حديث بيني وبين رئيس القسم الذي كان يرمي حديثه إلي أن الهلالية لديهم تاريخ حافل مع الثأر..

ـ فقلت : أتقصد ال سيوف.. ولكن حدث صلح بينهم أمس.. أمام جميع قبائل أسوان..!!

قال رئيس القسم : كلا السيوفيين ليست القبيلة الوحيدة التي لديها ثأر عند بنو هلال.. الغسانيين لديهم ثأر منذ عاميين غرق أحد أبنائهم علي مركب في النيل كان سالم الهلالي عليه وشهد البعض أن سالم هو من قام بأغراقه.. وكذلك الصوافيين والكاوامل لديهم ثأر قديم مع

بنو هلال.. أنتي غريبة هنا يا سيدتي فحياة القبائل صعبة للغاية ولا ينسون ثأرهم أبدآ..!!

ـ أنتهي الحوار مع رئيس القسم وعودت إلي منزل الشيخ إدريس الذي كان في حالة يرثي لها.. أي فجعة أكبر مما حدث معه عائلته كلها مرة واحدة..!!

ـ أخذت الحسيني وخرجت معه للسير حول النيل فقال : ما رأيك لما حدث..!!

ـ تنهدت وأنا أنظر للظلام القادم من النيل : كارثة بكل ما تحمله الكلمة من معني..!!

قال : روز ربما أنتي لما تعيشين في البلدان العربيه كثيرآ لكن الثأر يحدث به أبشع الجرائم.. لا تورطين نفسك مع القبائل هنا الشيخ إدريس رجل حكيم للغاية ولم يسلم منهم في نهاية الأمر.. فعلوا أبشع الجرائم أمام تجمهر جميع القبائل في منزل الشيخ..!!

ـ تنهدت وأنا أخرج سيجاري وأشعله وأقول : حسنا ، من قال أنني أعارض أن ما حدث هو ثأر قديم.. كلا لأول مرة أتفق مع الشرطة في جريمة..!!

ـ قال الحسيني وهو يحاول أن يخرجني من التعمق في القضية : حسنا فلنذهب من هنا لنترك أسوان ونترك الأمر لشرطة هم أكثر خبرة منا بعادات القبائل..!!

ـ ضحكت وقلت : أتريدني أن أترك اللعبة بعدما بدأت المرحلة الأخيرة..!! كلا لا

عودة قبل أكمال الفصل الآخير..لم أتوقع أن كل هذا الشر يوجد بمدينة جميلة كأسوان..!!

ـ قال الحسيني بيأس في أقناعي بالتخلي عن القضية : حسنا ما الذي سيحدث في فصلك الآخير من اللعبة..؟؟

ـ قلت وأنا أخرج أخر دخان من السيجارة: غدآ سيعلم بنو هلال جميعآ.. في مقابر بنو هلال سيخرج الجثث من

حوزت الشرطة إذا موعدنا غدآ في مقابر أسوان.. تحديد مقابر "بنو هلال""

..."مقابر " ال هلال

كان الشمس قد غربت منذ ساعتين
وأخرج بنو هلال وعلي رأسهم الشيخ
إدريس الذي كان في حالة عدم توازن
يكاد أن يسقط حتي أسرع يوسف
بالأمساك به.. متجهين جميعا مع سيارات
الشرطة إلي مقابر بنو هلال.. وتمت

أجراءت الدفن وكل شئ يحدث بشكله الطبيعي وجاء مقرئ قرأ بعض الآيات من القرآن الكريم..

ـ بعد قليل رحلت الشرطة وبدأ بنو هلال في حديثم عن رد الثأر..!!

ـ تحرك الجميع عائد إلي المنزل..كان الحسيني ينظر إليه وكإنه يريد أن يقول أين الفصل الآخير من اللعبة..!!

ـ وصلنا للمنزل وأخذ الرجال الشيخ إدريس ليرتاح قليلآ فأوصيت الحسيني بأن يبقي معاهم ويلاحظ ويسمع كل حديث يداربشكل جيد.. لحين أن نلتقي بعد ساعات..!!

..الفصل الآخير

تركت الحسيني معهم بعدما شرحت له ما الذي يتعين عليه فعله وما الذي أنوي فعله.. فذهبت إلي شرطة أسوان مجددا

وبعد طول نقاش وجدال أمتثل الشرطة لحديثي وطلبت من بنو هلال بالعودة مرة أخري لمقابر عائلة بنو هلال وحضور قبيلة السيوفيين..!!

ـ تحركت بعد ساعة مع قوات الشرطة إلي مقابر بنو هلال..

ـ كان القبيلتين حاضرين وكلا منهم ينظر للآخر وكأنه يود أن يقطعون رقاب بعضهم البعض..

ـ صعدت علي حجر عالي مخاطبة القبيلتين والشرطة وقلت :

حسنا أيها السادة أشراف قبائل أسوان أعلم ما يدور في بتفكيركم الآن للحقيقة عندما حدث إطلاق النار ورأيت كلا من سالم ويونس مقتولين كنت علي يقين تام بأن ال سيوف وراء مقتلهم وكانت حركة ذكية بتقديم الاعتذار أمام قبائل اسوان في الحنه حتي يبعد الشبهات عنهم.. ولكن برؤية جثث كلا السيدات أصابني الجنون.. فلدينا جريمتين منفصلتين فالقاتل لسالم ويونس

هو قاتل أخر غير القاتل للسيدات.. وهذا يوضح من طريقة القتل كما يصعب علي الرجال الأغراب الدخول لحوش النساء..لذا فالقتل للسيدات هو المفتاح لحل اللغز.. يجب أن يكون شخص مألوف جداً أختلي بالسيدتان وغدر بهم وتم التمثيل بجثثهم بهذا الشكل المقزز..!!

ـ ثم تحركت نحو السيدة نرجس وقلت : شككت أن السيدة نرجس تكون هي الشخص المألوف فهي سيدة وتحمل الضغينة نحو اختها وبنو هلال..!!

ـ ثم نظرت للحسيني وأعطيته أشارة بأن يعطي لي كيس كبير أسود..فأعطاني إياه..

ـ وطلبت من الشرطة أن تفتح قبر بنو هلال.. وهو الطلب الذي أحتج عليه الجميع بالرفض ولكني هدأت من ثورتهم بأن الدليل القاطع لحل القضيه في هذه الخطوة.. فقبلت الشرطة وفتحت المقبرة..!!

ـ فإذا يجد الجميع أختفاء جثث السيدتان أم سالم ومريم..!! يوجد جثث الرجال فقط..!!

ـ ثم تحركت وأنا أسكب الكيس الأسود علي الأرض أمام يوسف الهلالي وأقول وأنا أضحك : والآن أيها الدجال ستخبرنا أين هي المقبرة الذي طلب منك الجن بها فعل هذه الجريمة لفتح مقبرة الآثار..؟؟

ـ هجم يوسف بضربة كادت أن تسقطني في المقابر إلا ان أمسك بي الحسيني وقيدته الشرطة .. فأستعدت توازني وأنا أضحك بشكل هيستيري..!!

ـ قلت : صعبة أعلم كم هي صعبة أن تسقط الستار عن فنان مثلك.. ولكنها الخيط الرفيع يا مثقفي العزيز يوسف كومة الكتب التي كنت تحتفظ بها في صندوق خاص بقفل بمفتاح لا يغادر جيبك وعندما طلبت منك كتاب السيرة

الهلالية أخفيت الكتب وأصريت ان ترسله في اليوم الثاني مع رفيقي كي تجعلني لا أشك بهوية الكتب التي كنت تحملها في الصندوق.. أنها الخيط الرفيع أنها الذلة التي تصدرمن اللا وعي عن غير قصد.. فالكتب التي أمامك علي الأرض كتب سحر أحضرها هذا الدجال لعلمه بوجود مقبرة أثارفي قطعة أرض ملك لبنو سيوف وطلب منه الجن أن يحضر دم جثتين لسيدتين أحدهم كبيرة وأخري فتاة وتقطيعهم إلي أشلاء لكي يفتحون له مقبرة الآثار لذا تمت الجريمة بهذا الشكل المروع..!!

ـ وهنا يأتي اليد الثانية في الجريمة راشد السيوفي.. الشريك الثاني فتطاحن الثنائي علي الزواج من مريم حتي تصبح قطعه الأرض التي كانت من ميراث أمها تحت تصرفه.. إلا أن جاء حكم الشيخ إدريس بعدم زواجها من الثنائي ضربة وحدتهم بالتعاون معا.. فكلاهما حقير جمعهم جشع واحد..تعاون يوسف مع راشد بتخليص ثأر ال سيوف بمقتل سالم ويونس مقابل أن يقتل يوسف السيدتان وبعد ساعات من دفنهم تأخذ الجثث لمقبرة الآثار في أرض السيوفيين وتفتح المقبرة بعدما نفذ يوسف طلبات الجن الحارس للمقبرة..!!

ـ الجميع كان فيه حالة صعقة مما يسمعون.. تنهد راشد وأتجه نحو الشرطة وأسلم نفسه..معترفآ بصدق ما أقوله..!!

ـ فتحركت نحو الشيخ إدريس وربطت بيدي علي كتفه وقلت وأنا أنظر إلي يوسف الذي أركبته الشرطة البوكس

وقلت : أنه ثمرة فاسدة في شجرة بنو هلال كان لابد من ملاحظة الغل والحقد

الذي يحمله يوسف وأبيه نحو تفردك يا شيخ بزعامة القبيلة..!!

ـ حرك الشيخ رأسه ونظر إليه وقال : كنت أراها في أعينهم.. فكنت أقربهم أكثر بالكرم والعطف حتي يصفون.. لن أتصور ذات يوم أن يصل بهم إلي هذا الجنون..!!

ـ تحركت وأنا أمسح غبار التراب من علي ملابس وقلت : أنه الحقد والكره عندما يجتمع مع العلم الفاسد بالجهل

المظلم يكون الناتج ضرب من الجنون المقزز..!!

بعد مرور يوم..

وجدت الشرطة جثث السيدتان في مقبرة الأثار في أرض السيوفيين وتم القبض علي جميع العمال في الحفر.. وتم أخذ الأقوال وأعترف الجميع بما حدث..

ـ وأغلقت القضية علي تحويل راشد ويوسف للإعدام..!!

ـ أما أنا وعلي فقد جهزنا حقائبنا وودعنا الشيخ إدريس الذي لم أعلم أن لشخص بهذه المكانة الرفيعة أن يتعرض لحادثة

مفجعة مثلما حدث.. ودعنا الشيخ وأخذنا سيارة متجهين إلي مطار أسوان..

ـ في طريقنا للمطار ساد صمت حتي قطعه صوت ضحك علي وهو يقول :

هل تفكرين يا روز ما كان سيحدث إذا أوقعك هذا الوغد في المقبرة..!!

ـ ضحكت وقلت :

حسنا كانت ستسكن روحي الأشباح..!!

ـضحك وقال : أنت مجنونة يا روزلين.. المغامرة في العمل معك تكلف الأنسان المغامرة بحياته..!!

ـنظرت إليه وأنا أقول : وهل مصاحبتي تستحق المخاطرة بحياتك أم لا..؟؟!

ـ نظر وهو يضحك ويقول : كلا تسحقين بجدارة.. أنت الجنون الاستثنائي في حياتي يا روزلين.. والآن لم تخبريني إلي أي بلد رحلة طيران حجزتي لنا..!!

ـ أبتسمت وأنا أنظر من نافذة السيارة مودعة أسوان لآخر مرة وقلت : أكمل متعة جنونك وأجعلها مفاجأه..!!

فلا متعة بلا مجازفة ، ولا مفاجأة سوي القليل من الجنون..!!

..أنتهت إلي لقاء أخر في لغز جديد

..بقلم : شهد محسن يسن